ارتكاز مدى ارتفاع مستوى النعيم الزراعى فى مصر

على مقدار الثقافة الاقتصادية المنزلية للمرأة الريفية

للدكتور محمد منير الزرقانى
أستاذ الاقتصاد الزراعى ورئيس قسم الاقتصاد الزراعى
بكلية الزراعة بجامعة فاروق

تمهيد :

البنيان الاقتصادى المنزل الريفى أى المنزل الريفى وما يتفرع عنه من مدارس ومرافق اجتماعية أخرى إن هو إلا المصنع الذى يجرى فيه إنتاج الانسان الريفى . فالمنزل الريفى ، اذاً عبارة عن الجزء من البنيان الاقتصادى الزراعى أى الجزء من الزراعة الذى يضم القدر من عناصر الانتاج المستغل فى إنتاج الانسان الريفى . وعلم الاقتصاد المنزلى ان هو الا مجموعة المعارف التى يستأنس الإنسان بها فى انتاج أكبر قدر وأحسن صنف من السكان بما فيهم السكان الريفيون والزراعيون بأقل قدر من الجهود الانسانية أى بأقل قدر من التكاليف . وإنتاج الانسان كإنتاج الحيوان على ما بينهما من فارق ان هو الا العناية بتربيته أى بغذائه وكسائه ومأواه . فعلم الاقتصاد المنزلى والأمر كذلك ان هو الا علم انتاج الانسان . والانسان إن هو الا أهم عناصر الانتاج ، فهو عبارة عن طائفتى المديرين والعمال . والعناية بانتاج هؤلاء لا يمكن ان تقل أهمية عن العناية بتحسين عنصرى الأرض ورأس المال ، اذ لا يمكن ان نختص إنتاج الانسان ، وهو الهدف النهائى الذى ينبنى عليه قيام الصرح الانتاجى، بعناية أقل من تلك التى تختص بها التربة أو الحيوانات الزراعية مثلا . فالاستئناس بالمعارف التى ينتظمها علم الاقتصاد المنزلى فى تحسين السكان الريفيين والزراعيين يؤدى إلى تحسين الإنتاج الزراعى ، أى الى زيادة أنواع ومقادير النعم الزراعية اى الى زيادة الدخل ، وبالتالى إلى ارتفاع مستوى النعيم الزراعى فمستوى الهناء الزراعى .

المرأة فى التركيب السكانى والتركيب التعليمى

يتبين من دراسة التركيب الجنسى للسكان فى مصر ان نسبة الإناث تقارب نسبة الذكور ، بل تفوقها فى بعض التعدادات . وبدراسة التركيب الريفى الحضرى

يتبين أن أكثر الإناث الريفيات معظمهن زراعيات . وهذا معناه أن حوالى نصف السكان الريفيين والسكان الزراعيين إناث . أى أن الإناث الريفيات والزراعيات يكون نصف عنصر الانتاج المعروف بالموارد الانسانية ، أما المرتزقات من النساء فى صناعة الزراعة فيبلغن حوالى ١٥ ٪ فقط من جملة السكان الزراعيين المرتزقين . وهذا معناه أن غالبية النساء لايشتغلن بالعمليات الزراعية ، لأن ١٥ ٪ تقل كثيراً عن نسبة الإناث إلى الذكور وهى حوالى ٥٠ ٪ [1] يضاف إلى هذا أن عهد اختفاء النساء المصريات من الزراعة المصرية لم يبدأ بعد كما هو الحال فى أمريكا ، لأن نزوح الفتاة المصرية الزراعية إلى المدن لايزال في أضيق الحدود، ولن تزداد سرعته إلا بازدياد سرعة انتشار التعليم الذى يوسع لهن آفاق الارتزاق فى المدن ، ولهذا فإن كثرة من ينزحن الآن منهن إلى المدن يعملن خدما بالمنازل ، وكثرة هؤلاء لا تبقى بصفة مستديمة فى الأماكن التى ينزحن إليها ، فهن لايلبثن أن يعدن إلى قراهن عندما يحين سن زواجهن . والمرأة الريفية فى مصر ، امرأة جاهلة ، فقد تبين من الاحصائيات أن نسبة الأميات بين النساء أعلى منها بين الرجال ، إذ تبلغ نحو ٩٥ ٪ من جملة السكان البالغة أعمارهم ٥ سنوات فأكثر بين النساء بينما هى بين الرجال نحو ٧٥ ٪ ونسبة الريفيات الأميات بطبيعة الحال أعلى من نسبة الأميات الحضريات . فثقافة المرأة الريفية والحال كذلك تكاد تكون معدومة . هذه هى حال المرأة الريفية من حيث خواصها الذهنية على مالها من أثر بالغ فى البنيان الاقتصادى المنزلى الريفى لأنها رغم أعمالها المزرعية ، تعتبر دعامتها الأولى، لأنها تكاد تنفرد بالمهام المنزلية . وهذا مما يفسر ضرورة تزويدها بقدر من المعارف الاقتصادية المنزلية يتفق مع المستوى الاجتماعى الذى تشغله والمستوى التعليمى الذى يكون فى متناولها .

المهام المزرعية والمنزلية للمرأة الريفية

البيت الريفى فى مصر ليس من الوجهة المكانية جزءا من المزرعة المصرية فى أغلب الأحوال ، لأنه يقوم عادة فى قرية أو عزبة ، ويندر أن يقع فى قلب المزرعة كما هو الحال

(١) يحتمل أن تكون ارقام التعداد فى هذا الصدد مضللة لا تمثل الواقع ، لما يظن من أن العداد ين احصوا فقط النساء المرتزقات الاجيرات دون المرتزقات من أفراد الاسرة الزراعية .

فى بعض البلاد كالولايات المتحدة مثلا . وقد حدا اجتماع البيت والمزرعة فى صعيد واحد بالولايات المتحدة إلى اصطباغ المزرعة الأمريكية بالصبغة العائلية المنزلية حيث تختص المرأة بالأعمال المنزلية والرجل بالأعمال المزرعية ، واضحى مكان المرأة البيت كما يقولون أما فى مصر فلا يقوم مثل هذا الاختصاص المحدد ، إذ أن عمل المرأة لا يقتصر على الشئون المنزلية ، بل إنها تشارك الرجل أعماله المزرعية علاوة على اختصاصاتها المنزلية وهى قليلة بسيطة على أية حال . ولقاء هذا ينفرد الرجل ببعض العمليات المزرعية الشاقة فى باكورة الصباح ، أو آناء الليل ، وهى الأوقات التى تنجز فيها المرأة أعمالها المنزلية ، ولهذا فإن المهام المزرعية والمنزلية للمرأة لا يقل الوقت الذى تستغرقه بحال من الأحوال عن أعمال الرجل ، فإذا ما أجلنا النظر فى المزارع المصرية اتضح لنا أن المرأة تشارك الرجل فى معظم العمليات المزرعية ولا يشق عليها أداء مالم يجزه العرف منها حتى الآن إذا ماتحققت لها المرانة التى يناها الرجل ، وفوق ذلك فإن النساء الريفيات يضطلعن وحدهن تقريبا بإنتاج الشطر الأكبر من منتجات الألبان والدواجن التى تقدر قيمتها سنويا بنحو ٢٥ مليون جنيه ، أما النسوة الزراعيات اللاتى يحجمن عن أداء العمليات المزرعية ، أو اللاتى لا يقمن إلا بالقليل منها فهن زوجات وقريبات الرجال الميسورين نسبيا ، وهؤلاء قلة فى الزراعة المصرية وأمثالهن يكن عادة من أسر المزارعين ، ونسبة هؤلاء تبلغ فقط نحو الربع من جملة السكان الزراعيين المرتزقين ، والشطر الأكبر من هذا الربع يتكون من صغار المزارعين ملاكا أو مستأجرين ممن تغلب مشاركة النسوة لهم فى العمليات المزرعية ، شأنهن فى ذلك شأن نسوة العمال الزراعيين الأجراء . وعلى أية حال فإن نسبة إحجام النساء عن أداء العمليات المزرعية تميل إلى الصعود بازدياد الدخل وارتفاع مستوى النعيم الذى يقتضى إعفاء المرأة من المهام المزرعية إبقاء لها فى البيت ومنعا لها من الاختلاط ، وذلك تشبها بنساء الأعيان والوجهاء الذين هم قدوة من يوسر بعد عسر .

صلة علم الاقتصاد المنزلى بالعلوم الزراعية الأخرى

وعلم الاقتصاد المنزلى ليس إلا علما زراعيا يتصل اتصالا وثيقا بكافة العلوم الزراعية الأخرى التى تهدف جميعا إلى رفع مستوى المجتمع الريفى ، أى اجتناب ويلات الفقر

الريفى من مرض وجهل فتطول الأعمار ويرتفع المستوى الصحي والعقلى وتتحقق بذلك الحياة الريفية الهنيئة . فمباحث العلوم الزراعيـــة إنما تتناول أربعة ميادين رئيسية متضافرة متساندة ، فيتناول بعضها بيان أنواع ومقادير النعم الواجب استهلاكها ومبررات وكيفية هذا الاستهلاك من الوجوه التكنولوجية والاقتصادية والسيكولوجية والفلسفية والاجتماعيه وغير ذلك . وهذا ما يتناوله علم الاقتصاد المنزلى . والبعض الآخر يتناول بيان أنواع ومقادير النعم الواجب إنتاجها ومبررات ذلك . وهذا ما يتناوله علم الاقتصاد الزراعى . وبعضها يتناول بيان مبررات وكيفية إنتاج هذه النعم تكنولوجيا . وهذا ما تتناوله مباحث العلوم الزراعية التكنولوجيـة . وبعضها يتناول كيفية ومبررات النهوض بالمجتمع الريفى من النواحى الاجتماعية التى لا تطرقها مباحث العلوم الاجتماعية الاخرى . وهذا ما يتناوله علم المجتمع الريفى أى علم الشئون الاجتماعية الريفية . ومعنى هذا أنه يصعب تقرير الانتـــاج قبل تقرير الاستهلاك . ويصعب معرفة طرائق الانتاج من الوجهة التكنولوجية قبل معرفة أنواع ومقادير الانتاج كما لايصعب النهوض بالحياة الاجتماعيـــة الريفية دون الوقوف على أنواع ومقادير الاستهلاك والانتاج وطرائقها . ولهذا فإن الاخصائيين فى الاقتصاد الزراعى يستأنسون فى تقرير نوع ومقدار الانتاج بالمعارف التى تكشفها الإخصائيات فى الاقتصاد المنزلى عن نوع ومقدار الاستهلاك . ويستأنس الاخصائيون فى العلوم الزراعية التكنولوجية بالمعارف التى يكتشفها الاخصائيون فى الاقتصاد الزراعى عن نوع ومقدار الإنتاج وإلا ضاعت جهودهم من غير داع لبيان كيفية إنتاج أنواع ومقادير من النعم غير لازمة أو غير مفيدة من ناحية الاستهلاك . أما الاخصائيون فى علم المجتمع الريفى فيستأنسون بالمعارف التى يكتشفها الاخصائيون فى الاقتصاد المنزلى وفى الاقتصاد الزراعى وفى العلوم الزراعية التكنولوجية لاكتشاف المعارف الموصلة إلى تحسين الحياة الاجتماعية الريفية .

صلة مستوى النعيم الزراعى بالمعارف الاقتصادية المنزلية

وبالرغم من قيام هذه الروابط الوثيقة فإن علم الاقتصاد المنزلى لم يشق بعد طريقه

إلى المعاهد الزراعية المصرية الجامعية منها وغير الجامعية ، فناهجها جميعا تكاد تكون خالية منه اللهم إلا فيما يختص بفرع تغذية الانسان حيث يجرى تدريس أحد مواده فى كلية الزراعة بجامعة فاروق الاول كما يشتمل مقرر الدراسة فى علم الصناعات الزراعية بكلية الزراعة بجامعة فؤاد الاول على قدر من هذا الفرع . أما بقية فروع هذا العلم مع ماله من أهمية بالغة فى كليات الزراعة الامريكية فان مناهج الدراسات الزراعية فى مصر لم تنتظمها حتى الآن رغم أن علم الاقتصاد المنزلى كما سبق أن أوضحنا هو العلم الزراعي الذى يتناول بيان أنواع ومقادير النعم الواجب استهلاكها أى الواجب الاستمتاع بها وكيفية هذا الاستمتاع ، وما هذا إلا تعبيرا آخر لمستوى النعيم وأى مستوى نعيم لا يمكن أن يرتفع من غير الاستئناس بالمعارف الاقتصادية المنزلية ، لأن علم الاقتصاد المنزلى ليس فى حقيقة أمره إلا علما من العلوم المتصلة اتصالا وثيقا مباشرا بمستوى النعيم . ولما كان المنزل لا يزال هو المجال الرئيسى لعمل المرأة ، فعلم الاقتصاد المنزلى يجب أن يكون فى مقدمة العلوم التى تزود بها كى تستعين به على إنتاج أجيال أفضل رجالا ونساء ، وهذا مالا يمكن تحقيقه إلا بإدخال هذا العلم فى مناهج المعاهد الزراعية وفتح أبوابها للنساء كالرجال على حد سواء ، ومثل هذا الإجراء أمر حيوى بالنسبة لبلد كمصر معظم بنيانه الاقتصادى زراعى كما أنه ينوء بانحطاط مستوى النعيم بين غالبية سكانه ولنا فى ذلك قدوة بأمريكا التى تنعم فى الوقت الحاضر بأعلى مستوى نعيم فى العالم أجمع . والمعروف أن أكبر الفضل فى ذلك انما يرجع إلى جهود الاقتصاديات المنزليات من خريجات معاهدها الزراعية ، فهن المنوط بهن تحسين الاستهلاك أى الاستمتاع وذلك بزيادته وتنويعه وبيان كيفيته كما تستند على جهودهن أيضا جهود المشتغلين بتحسين الانتاج وزيادته وتنويعه وبيان كيفيته وفقا لمقتضيات مستوى الاستمتاع الذى ترسم معالمه هؤلاء الاقتصاديات المنزليات ، وما ذلك إلا لأن وفرة الانتاج وجودته ليست وحدها وفى حد ذاتها كفيلة بتحسين مستوى النعيم . فكثيرا ما تكون النعم وفيرة جيدة والدخل عاليا ، ومع ذلك يكون مستوى النعيم منخفضا لعدم معرفة كيفية الاستمتاع بهذه الوفرة وتلك الجودة . وعلى أية حال فان مستوى النعيم ومستوى الانتاج الزراعيين كلاهما منخفض فى مصر ولاسبيل للنهوض

بهما إلا بمعونة الاخصائيين الزراعيين بما فيهم الاقتصاديات المنزليات ، فغذاء السكان الريفيين غير كاف ولا واف ، وكساؤهم وأبنيتهم غير واقيين ، والروابط الاجتماعية بينهم بدائية ولا يقتصر ضرر قلة الغذاء والكساء والبناء على الفقراء وحدهم بل يشمل الأغنياء أيضا ، فهم جميعا يعانون الكثير من الأمية الغذائية والكسائية والبنائيـــة وما يتفرع عن هذه جميعا . ومرد ذلك إلى انعدام طائفة الاقتصاديات المنزليـات الحقيقيات فى مصر ، وهن المنوط بهن اكتشاف وتلقين ونشر المعارف الاقتصادية المنزلية أى المعارف الغذائية والكسائية والبنائية من الناحية الاستهلاكية . فالمشكلة ليست فقط مشكلة قلة المال بل قلة المعارف أيضا ، وسيظل الحال على هذا المنـوال ما دامت مناهج التعليم الزراعى خاليـة من مواد علم الاقتصاد المنزلى مابقيت أبواب المعاهد الزراعية موصدة أو شبه موصدة فى وجوه الفنيات .

علم الاقتصاد المنزلى فى مناهج المعاهد الزراعية

أما أسباب ضرورة اشتمال مناهج المعاهد الزراعية على علم الاقتصاد المنزلى بفروعه فتنحصر فى أنها هى المعاهد التى تنتظم برامجها ، العلوم الزراعية الانتـاجية التى تدور مباحثها حول مواد الغذاء والكساء والبناء النباتية والحيوانية ، وهى نفس الميـــادين التى تجرى فيها مباحث علم الاقتصاد المنزلى بفروعه التي منها التغذية والأقمشة وإدارة الأعمال المنزلية واقتصاد الاغذية والمجتمع المنزلى والمـالية المنزلية والصحة المنزلية ورعاية الأطفال واقتصاد الأقمشة والملابس ونظريات تصميم وألوان الملابس وغير ذلك من الفروع . ففى المعاهد الزراعية ، والأمر كذلك ، تستطيع الطالبات أن ينهلن من العلوم الزراعية التى يلزم أن تسبق أو تصحب بصفة إجبارية واختيارية دراستها مجتمعة دراسة علم الاقتصاد المنزلى . مثل علم محاصيل الفواكه ، وعلم تكنولوجيا الألبان ، وعلم محاصيل الخضر ، وعلم الصناعات الغذائية ، وعلم الاقتصاد الزراعى ، وعلم الأراضى ، وعلم محاصيل الحقل ، وعلم المجتمع الريفى ، وعلم الدواجن ، وعلم محاصيل الزينة ، وعلم الحشرات ، وعلم أمراض النباتات ، وعلم الغابات ، وعلم تصميم الحدائق وغير ذلك ، وهى علوم شديدة الارتباط بالبنيان الاقتصادى المنزلى ، ولا يجرى تدريسهـا بالمعاهد غير الزراعية . ولهذا يمكن أن تكون فى متناول الطالبات الراغبات فى دراسة

علم الاقتصاد المنزلى مالم يلتحقن لهذا الغرض بالمعاهدالزراعية .ومما لا يرقى إليه الشك أن إعداد الفتيات على هذه الصورة بالمعاهد الزراعية يؤهلهن للمساهمة بطريقة فعالة فى النهوض بالحياة المعيشية الريفية وغير الريفية للفرد وللأسرة والدولة من كافة النواحى التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية .

خاتمـــة

ومن الخطأ مايتوهمه البعض من أن علم الاقتصادالمنزلى يهدف فقط إلى إكساب الفتيات المرانة على الأعمال المنزلية ، لأنه إنما يبحث فى الحيـــاة الاستهلاكية أى الاستمتاعية المعيشية للمجتمع ، وشأنه فى ذلكشأن بقية العلوم الزراعية وغير الزراعية الأخرى التى تتناول الحياة الانتاجية للمجتمع مع العلم بأن النـــاحية الاستمتاعية للحياة ، هى ماتستهدفه مباحث كافة العلوم الأخرى ، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة بينما يرمى علم الاقتصاد المنزلى إلى هذا الهدف بطريق مباشر ، فبدونه يعجز الإنسان عن تحقيق هدفه النهائى فى الحياة ، وهو إشباع رغباته وإحتياجاته من نعيم الدنيابأقل مايمكن من الجهود الانتاجية . وبمعنى آخر أن الإنسان إذا لم يستعن بعلم الاقتصاد المنزلى عجز عن أن ينعم بمستوى معيشة سخى يجنبه ويلات الفاقة وما تجره فى ذيولها من جهل ومرض وقصر عمر (١) .

مراجع باللغة الانجليزية

1. Bulletin of the University of Nebraska. What a Girl Can Do, n. d.
2. Catalogues and Announcements of various American Universities and State Colleges.
3. Cleland, W. W. The Population Problem in Egypt : A Study of Population Trends and Conditions in Modern Egypt, (Ph. D. thesis). New York : Columbia University, 1936.

(١) الباحث مسئول وحده عن كل وجهات النظر وكل الاستنتاجات الواردة بهذا المقال . وهى وإن كانت جميعا سليمة من الناحية العلمية إلا انها كما جرت بذلك التقاليد فى الأوساط الجامعية العالمية لا تمثل بأى حال من الاحوال وجهة نظر الكلية أو الجامعة التى نشرتها .

4. Cleland, W. Wendell. A Population plan for Egypt, Reprint from the Milbank Memorial Fund Quarterly, Vol. XX11, No. 4, October, 1944. New York : Milbank Memorial Fund (40 Wall Street).

5. Elzalaki, M. M. An Analysis of the Organization of Egyptian Agriculture and of its Influence on National Economic and Social Institutions. Ph. D. thesis ; Berkeley : University of California, 1940.

6. Extension Service of Nebraska College of Agriculture and U. S. D. A. Cooporating. The Important Job of Home-making. Extension Circular 5522, September, 1936. Lincoln, Nebraska.

7. Gee, Wilson. The Social Economics of Agriculture. New York : Macmillan company, 1932.

8. Peterson, George M. Wealth, Income and Living, reprinted from Journal of Farm Economics, Vol. XV, No. 3, July 1933.

9. Rankin, J. O. and Eleanor H. Hinman. A Summary of the Standard of Living in Nebraska Homes. Bulletin 267, January, 1932, the University of Nebraska College of Agriculture Exp. St., Lincoln, Nebraska.

10. Reed, Edwin T. (College Editor). Occapations for the Agriculturally Trained ; A Vocational Guidance Booklet No. 464, March 1930, Oregon State Agricultural college, Corvallis, Oregon.

11. Smith, T. Lynn. The Sociology of Rural Life. New York and London : Harper and Brothers, 1940.

12. University of California College of Agriculture. Announcement of the Curriculum in Home Economics. Berkeley and Davis, August, 1938.

13. Warriner, Doreen. Land and Poverty in the Middle East. London & New York : Royal Institute of International Affairs, 1948.

14. Waugh, Frank A. The Agricultural College New York : Orange Judd Company, 1916.

مراجع باللغة العربيـــة

١ ــ الدكتور ابراهيم رشاد : كتاب التعاون الزراعى ، والجزآن الأول الثانى « الطبعة الثانية » طبعتها وزارة المعارف العمومية ١٩٣٥ .

٢ ــ ابنة الشاطىء : قضية الفلاح ــ القاهرة ــ مكتبة النهضة المصرية « بدون تاريخ » .

٣ ــ الدكتور احمد حسين : المشاكل الريفية ــ محاضرات « غير ظاهر على المرجع مكان إلقاء المحاضرات والتاريخ » .

٤ ــ الدكتور أحمد حسين ، مدير ادارة الفلاح « رفع مستوى معيشة الفلاح » نوع المرجع والتاريخ غير ظاهرين .

٥ ــ دلاور على وراشد البراوى : « مشكلاتنا الاجتماعية » ــ الفقر ــ الفلاح ــ التأمين ــ العمال ــ القاهرة « مكتبة النهضة المصرية » ١٩٤٨ .

٦ ــ محمد عبد الرحيم عنبر : « مشكلة الفقر فى مصر » ١٩٤٠ .

٧ ــ الدكتور محمد منير الزلاقى : « الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى بمصر » النواحى الاقتصادية والاجتماعية للاصلاح الزراعى ، الجزء الأول ــ التأثير المتبادل بين الاستهلاك والانتاج وعلاقة ذلك بالتعليم العالى فى موضوع الاقتصاد المنزلى ، الارتباط بين الاقتصاد المنزلى والزراعى والعلوم الزراعية الأخرى بركلى ــ كاليفورنيا ــ ١٩٣٨ « كتاب بخط اليد تحت الطبع » .